

## البُعدُ النفسيُّ لأسلوب الإنشاء الطَّلبيِّ في أحاديث الأربعين النووية

## The psychological dimension of the orderly construction method in the forty hadiths of Nawawi

هاجر بوعكاز\*

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، bouakkazhadjer1591@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/09/15

تاريخ القبول: 2022/08/30

تاريخ الاستلام: 2022/05/13

**ملخص:** يهدف هذا المقال إلى بيان الأبعاد النفسية للحديث النبوي الشريف، في مبحث الإنشاء، بما يضمه من صيغ تركيبية مختلفة. هذا الضرب البلاغي الذي يعتبر من أساليب العرب المهمة في عملية الخطاب، وقد تنوعت صيغته في هذا المتن النبوي. انطلقت هذه الدراسة من الإشكالية الآتية: «كيف يؤدي الحديث النبوي الشريف مقاصد نفسية؟ وماهي أهم هذه القيم النفسية التي ضمها؟ وما أهم صيغ الإنشاء التي ساهمت في تحقيق هذه الغاية من لدن المخاطب؟». وللإجابة عن هذه الإشكالية، اتبعنا منهجية قامت على مقدمة، وهي عبارة عن مدخل عام، أشرنا فيها إلى تعريف الأربعين النووية، ومفهوما للأسلوب الإنشائي وأقسامه وصيغته، ثم قدمنا في العرض نماذج من أحاديث الأربعين النووية، ومن أهم النتائج المتوصل إليها، أن الحديث النبوي الشريف، خطاب مؤسّس، يستهدف إلى تكوين جانب نفسي سليم للمخاطب، كما أن الاستغلال المحكم والرتصين لصيغ الأساليب الإنشائية الطلّبية، زادت في تبيان مقاصد المخاطب.

**كلمات مفتاحية:** البعد النفسي، الحديث النبوي، الأربعين النووية، القصد.

**Abstract:**

This Article aims to clarify the psychological dimension in Elhadith through studying one of the important topics in semantics is construction topic with topic.

Its different synthetic formulas that aims to educating muslim psychologically. This rhetorical multiplication which considered as one of the important arabic methods in speech process has known a diversity in its formulas. This what makes researchers interested with and this what makes researchers interested with and this study started from the following problem how can Elhadith lead to psychological

objectives ?and what are the main psychological values that it included?and what are the main construction formulas that constrilrted to thas achievement of this goul from the adreesee?

**Keywords** The psychological dimension; Propheetic hadith. Theforty hadiths of Nawawi. Intention

## 1. مقدمة:

لا يمكن للمسلم العارف والعالم أن يضع الحديث النبوي الشريف لغويا في مصاف الكلام العادي، أو موازيا لمختلف الخطابات الإبداعية البشرية بلاغيا، لأنه وببساطة جاء من مشكاة أفصح العرب قاطبة، هو محمد بن عبد الله رسول الأمة وخاتمها، وعد أبلغ الحديث والكلام بعد الخطاب الإلهي المقدس والمنزل عليه أيضا، لذلك فالحديث عن البلاغة النبوية أمر له شأن عند المسلمين، وهو مقام زكي يستوجب الوقوف عنده بتأني وروية، ففيه مقاصد وأبعاد نفسية وتربوية، وما جاء محمد إلا ليخرج تلك النفس الضائعة في عتمة الجهل والظلام، إلى بر النور والهدى.

إن لغة الحديث النبوي الشرف لها خصائص وميزات كثيرات، فرغم فخامتها وجزالتها وأبعادها، فإن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، استطاع أن يبلغ مقاصده الخطابية، في عملية تواصلية تميزت بالنجاعة، في كلام استوفى معايير الخطاب التواصلية، بدءا من الرسالة بما تتضمنه من لغة، ثم مراعاة للسامع وأحواله ومقامه، ذلك العربي الأمي البسيط، وليد الصحراء القاحلة، أخذ يغير في سلوكه ويأخذ بالنصيحة ويعتبر ويتعظ، كيف لا وقد وصف أحد عمالقة البيان العربي، وهو الجاحظ (ت 255هـ) هذا الحديث قائلا «وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف (...) واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمتصور في موضع القصر، وهجر الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي (...)، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته»<sup>1</sup>. وما يلاحظ عن كلام الجاحظ في الحديث النبوي الشريف، أنه أبرز عدة خصائص له، منها الوظيفة الإفهامية، التي تحدث عنها الجاحظ في كثير مصنفاته، وركز عليه، وعدها الأساس الذي يقوم عليها الخطاب، والغاية التي يهدف إليها المتكلم والمستمع «لأن الأمر والغاية التي إليها يجري القائل

والسامع، إنما هي الفهم والإفهام»<sup>2</sup>. فإن كانت الوظيفة الإفهامية لا بد منها، ليتم التواصل بين طرفي العملية الخطابية، فإن للخطاب النبوي أبعادا نفسية وتربوية «لأن الخطاب الإلهي والنبوي له معاني ذات الصلة بالتربية النفسية، وهل جاء إلا للتأثير في النفوس فتزكوا»<sup>3</sup>. لذلك تهدف هذه الدراسة إلى كشف هذه الأبعاد النفسية في أحاديث متن الأربعين النووية، باستغلال مبحث بلاغي في باب علم المعاني، هو أسلوب الإنشاء الطلبي، محاولين الإجابة على الإشكالية الآتية:

«كيف يؤدي الحديث النبوي الشريف مقاصدا نفسية؟ وماهي أهم هذه القيم النفسية التي ضمها؟ وما أهم صيغ الإنشاء التي ساهمت في تحقيق هذه الغاية من لدن المخاطب؟».

هذا ما سنحاول الإجابة عنه، من خلال دراسة بعضا من هذه الأحاديث وعدتها سبعة أحاديث في هذا المقال، جمعت بين أسلوب الأمر، وأسلوب النهي، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب النداء، وقد جاءت هذه الصيغة متخللة الصيغ الأولى.

## 2. ما الحديث النبوي:

### 1.2 المفهوم في اللغة والاصطلاح:

• لغة: جاء في لسان العبر في مادة (ح د ث) «الحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمة، حدث الشيء يحدث حدوثا وحادثة، وأحدثه هو، فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه»<sup>4</sup>. فالحديث في اللغة هو ضد القديم.

• اصطلاحاً: قدم البوطي مفهوما واضحا لمصطلح الحديث النبوي، إذ قال «يطلق على ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، فالكلمات التي تعزى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً، والتصرفات التي تنسب إليه فعلاً، وسكوته على تصرفات الآخرين إقراراً، والمعاني التي تتلبس به وصفاً، كل ذلك سمي في الاصطلاح حديثاً»<sup>5</sup>. وعليه فالحديث النبوي الشريف هو مختلف الأفعال والأقوال والمواقف النبوية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ويتميز الحديث النبوي الشريف بجملة من الخصائص اللغوية والبيانبة، وبمحتوى وغاية تربط الفرد الدنيا بالآخرة، ونجد من بين هذه الخصائص «تحرر ألفاظ الحديث النبوي من حوشي القول ومستزذل التشبيه أو التركيب، امتدادا لهدي الوحي السماوي، إبداع في صياغة بعض الجمل، بل بعض الألفاظ، ما كان يتسم به كلامه صلى الله عليه وسلم من المرونة واختلاف التعبير إنجازا أو تطويلا، أو شدة ولينا...»<sup>6</sup>. كل هذه الخصائص اللغوية جمعتها لفظتان مركبتان هي البلاغة النبوية «وهي البلاغة النبوية، تعرف الحقيقة فيها كأنها فكر صريح من أفكار الخليفة، وتجيء بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنه مجاز في حقيقة، وهي من البيان في إنجاز تتردد فيه عين البليغ فتعرفه مع إيجاز القرآن فرعين، فمن رآه غير قريب من ذلك الإعجاز فليعلم أنه لم يلحق به هذه العين»<sup>7</sup>. وواضح من كلام الرافعي أن البلاغة النبوية قريبة من البيان القرآني غير بعيدة عنه، مؤسسة في خطاب موجه لمتلقي بعينه، هادف وذو غاية، بعيدا عن لغته البانبة «فهذا تكون الغاية الفلسفية التي ينتهي إليه كلامه صلى الله عليه وسلم، أن تنشئه الناس البر والعفة والأمانة هي وحدها الطريقة العملية الممكنة لحل معضلة النثر والجريمة في الاجتماع البشري»<sup>8</sup>. فنفهم من ذلك أن الحديث النبوي الشريف، يهدف إلى تربية النفوس، وبناء مجتمع فتي تسوده الألفة والمحبة، والتلاحم الاجتماعي، من خلال العمل بما جاء في أقواله ونصائحه، ومختلف توجيهاته.

## 2.2 متن الأربعين النووية:

متن الأربعين النووية من المتون التي حظيت بدراسات وأبحاث علمية مختلفة المجالات، فدرست تداوليا وأسلوبيا، ونحويا وصرفيا، فقد «دلت على ثراء المعجم اللغوي للغة العربية، تنوع حمل معه التجدد الدلالي والتكاثف المعنوي في مستوى الخطاب النبوي»<sup>9</sup>. وهي أيضا الأربعون النووية «من أمات المتون الحديثة فهي على صغر حجمها، وقلة أحاديثها، إلا أنها ذاعت وشاعت، لأسباب أهمها: أن أحاديثها مشتملة على أصول الدين، وقواعد الشريعة التي إليها المرجع»<sup>10</sup>. إن هذا التنوع الدلالي والتكاثف المعنوي هو الباب والمدخل الذي نريد من خلاله معرفة مقاصد المتكلم من خلالها، خاصة أمام أسلوب يتميز صيغه بالعدول والخروج عن أغراضها المباشرة إلى أغراض عميقة، تفهم من

السياق ومقام القول في كثير من المواضع، وعليه فالأسلوب الإنشائي الطلبي «هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع طلب»<sup>11</sup>. فنجد الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني وصيغ الإنشاء الطلبي وفيما يلي نماذج من الأحاديث النبوية الواردة في المتن النووي، دراسة وتحليلاً.

### 3. البعد النفسي لأسلوب النهي :

#### 1.3 الجلم:

جاء في الحديث السادس عشر ما نصه «عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصيني، قال: "لا تغضب"، فردد مراراً، قال: "لا تغضب"»<sup>12</sup>. نلاحظ في هذا الحديث الشريف إيجاز في التشكيل اللغوي، حيث تشكل من شقين، الشق الأول تشكل من سؤال وضم فعل وفاعل ومفعولاً به، والرد فيه جاء ممثلاً مختصراً، من فعل وفاعل، وهو كان بمثابة أسلوب إنشائي بصيغة النهي، ثم تكرر في الشق الثاني السؤال، وكان الجواب نفسه، ليكون الجواب "لا تغضب" مركز الدلالة وبؤرتها، فبينتان لسانيتان جمعت خصالاً عديدة، ومنتهى ما تصبو إليه النفس المؤمنة، «وهذا الحديث حديث عظيم، وهو من جوامع الكلم، لأنه جمع بين خيرَي الدنيا والآخرة»<sup>13</sup>. والنهي إنما يحمل معنى الاستكراه في القيام بفعل ما، وطلب الكف عنه، وفي هذا الحديث يطلب الرسول من العبد المؤمن أن لا يغضب، داعياً فيه إلى أن يكون حليماً صبوراً، ويكظم غيظه ما استطاع، وكلها تتصل اتصالاً مباشراً بالنفس، فهو يعدّه إعداد المربي والموجه والمؤدّب، فترويض النفس وتعليمها عدم الغضب له خيرُه في الدنيا والآخرة، «يحتمل أنه أراد أمره بالأسباب التي توجب حسن الخلق: من الكرم، والسخاء، والحلم، والحياء، والتواضع، والاحتمال، وكف الأذى، والصفح، والعفو، وكظم الغيظ والطلاقة والبشر، وسائر الأخلاق الحسنة الجميلة، فإن النفس إذا تخلّقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة اندفع عنها الغضب عند حصول أسبابه»<sup>14</sup>. وعليه فإن أسلوب الإنشاء الذي جاء بصيغة النهي حمل بعداً نفسياً، تتمثل في نصيحة بليغة، وهي أن يتخلّق المؤمن بأخلاق رفيعة، تكون الطريقة المثلى لمواجهته وكبحه، فإنه وإن اعتدلت النفس وسكنت ولفها الاطمئنان، لم يعد للغضب مداخلة إلى نفس سمت بالحلم والتعقل والتأني، «والحلم كتمان الغيظ،

وان العاقل من ملك نفسه عند الغضب»<sup>15</sup>. فإن هذا الحديث دعوة لكل مؤمن بالحلم، لأن الغضب قطعة من نار، تفك أواصر التآلف والمحبة، فالنفس فيه تفقد البصر والبصيرة، وتقول وتفرغ طاقة من العتاب والكلمات المنبعثة من شأنها، ان تكسر الخواطر، وتقتل القوي قبل الضعيف، ولا يدري الغاضب سوء فعلته، إلا بعد هدوء نفسه، ولكن حينها يكون قد خسر خسارنا مبينا.

### 2.3 صفاء القلب وسلامة السريرة رابطة الأخوة:

جاء في الحديث النبوي الخامس والثلاثون ما نصه «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»<sup>16</sup>. يضم الحديث ستة أفعال في أسلوب الإنشاء الطلبي، توزعت خمسة أفعال في صيغة النهي (تحاسدوا، تناجشوا، تباغضوا، تدابروا، يبيع)، وفعلا واحدا في صيغة الأمر (كونوا). وظاهر هذه الأفعال نهي عن مجموعة من الصفات الخلقية، والتي ان حطت على القلب أفسدته، وباطنها فيه من التوجيه والتعليم والتربية، ما يصلح الحال والباطن.

وكل هذه النواهي قريبة من بعضها، يجمع القول فيها على أنها إذا استقرت في النفس عنت على صاحبها الهلاك، وأفسد طبيئته وسيرته، كيف لا وهو يتمنى زوال النعمة عن أخيه المسلم، وبالمختصر كل هذه النواهي هي من أمراض النفس، التي تجعل صاحبها يعيش قلقا وحيرة واضطرابا، ووجود مجتمع تسوده مثل هذه الصفات، هو مجتمع قد أدركته الجهل وتفشي الشرور، فلا صفاء للقلب ولا سلامة في السريرة، ولا أخوة ولا نصرة ولا تلاحم، وقد جمع الرسول في جملة فعلية أمرية فلسفة اجتماعية، تختصر كينونة المسلم، وعلاقاته بغيره في قوله "كونوا عباد الله"، تبعثها جملة من الأفعال المضارعة المنفية (لا يظلم، لا يخذل، لا يكذب، ولا يحقر)، قاصدا الرسول بها إعادة ترتيب هذا المجتمع نفسيا أولا، فحين تربى النفس عن ترك مثل هذا النواهي، والأخذ

بالأوامر يعني تطهير لها ونقاؤها، وصفاء القلب، لأن أمراض القلوب أخطر ما يصاب به المرء، ومعرفة معالجتها باب الخير وقطع كل الشرور.

والقارئ لهذا الحديث سيحصل في نفسه نوع من الشرود النفسي العميق، لأن جميع الأفعال منبعها النفس، وأكد انه موضع التقوى، فإصلاحه، إصلاح للنفس، ولأنه جمع بين النهي والأمر، بين الكف والعمل، التربية والتعليم، فيبين أين الخلل، ثم كيفية الإصلاح، كل هذا وفق أسلوب الإنشاء الطلبي، التي حسن استعماله وتوظيفه بغية إيصال رسالة واضحة إلى المستمع «فكلامه صلى الله عليه وسلم يجري مجرى عمله، كله دين وتقوى، وتعليم، وكله روحانية وقوة حياة»<sup>17</sup>.

#### 4. البعد النفسي لأسلوب الأمر: خاتمة

##### 4-1. للطفل نصيب في أحاديث الرسول، تقويم وتوجيه وتربية:

ضع جاء في الحديث التاسع عشر ما نصه «عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف»<sup>18</sup>. افتتح الحديث بأسلوب نداء، وقد ضم أسلوب الأمر في خمس مواضع (إحفظ، إحفظ، اسأل، استعن، اعلم)، «كثير في هذا الحديث الشريف أسلوب الأمر وأسلوب الشرط، وذلك مما يناسب مقام النصيح والتعليم، وقد حفل الحديث بأسرار بلاغية متنوعة، تدل على جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وعلى تمكنه في لغة البيان...»<sup>19</sup>. والنداء جاء بأداة "الياء" «والتي هي تكون للبعيد»<sup>20</sup>، ولننظر إلى بلاغة الرسول، فالغلام كان خلفه، لكنه استعمل أداة لنداء البعيد خارجا به إلى مقصدية أكثر عمقا، نحسبها في احتمالين، أما الأول فهي مراعاة لأحوال السامع والذي هو هنا غلام، فاحتمال شروده أو تيهانه وارد، فكان النداء للتنبيه، وهذا احتمال نستبعده مع غلام سيلقب لاحقا بحبر الأمة وترجمانها، أما الاحتمال الذي نرجحه هو أن هذا النداء

ممتد في الزمن، صالح إلى يوم الناس هذا، لأن الكلمات التي سيقولها الرسول، كلمات عظيمة، جمعت فأوفت.

«والنداء هو وسيلة التخاطب المثلى لايصال الرسالة وتبليغها إلى الآخرين»<sup>21</sup>. ثم تلا هذا النداء مجموعة من الأوامر، وكلها توجيهية إرشادية نصحية، وظهرها أوامر موجهة إلى الغلام، لكن في باطنها موجهة لعامة المسلمين، مقرا أن الملجأ والركن والسند هو الله دون غيره، «وهو حديث ضم وصايا خطيرة القدر، جامعة من الأحكام والحكم والمعارف ما يفوق الحصر»<sup>22</sup>. فحفظ الله لعبده المؤمن، وتأيبده، وجوده عليه بالنعم، وإعانتة له لا تكون إلا من خلال حفظ هذه الكلمات القليلة الحروف، العظيمة النفع، والعمل بها، فقد أوجز وأبلغ فيها عقيدة المسلم، ويريد ترسيخها في نفس المؤمن القريب والبعيد، لأن تربية النفس على مثل هذه الأوامر من شأنها أن يولد جيلا قويا، قادرا على تسيير جميع شؤونه، عالما بالمسؤولية، متوكل على ذاته، وعلى الله دون غيره، ثم يزيد الرسول صلى الله عليه وسلم في قوة أسلوبه بالفعل "اعلم" جازما من خلاله خلاصة المؤمن في هذه الحياة، وهي أن الإنسان إذا كان مع الله فلا أحد عليه، وإذا كان الله عليه فمن معه. أو كما جاء في الآية الكريمة في سورة آل عمران ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وبذلك فإن البعد النفسي لأسلوب الأمر في هذه الآية يضم تعديلا لسلوك الإنسان، في السؤال والاستعانة والتوكل، وفي مختلف الطاعات والعبادات، والإنسان متى علم أن الله هو المسير المدبر لرزقه ونعمه عليه، دون غيره، سكنت نفسه، واطمأنت.

#### 2.4. الحياء كله خير:

جاء في الحديث النبوي العشرين ما نصه «عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت"»<sup>23</sup>.

ورد أسلوب الأمر في صيغة الفعل "فاصنع"، واختلف عند العلماء غرضه ف قيل «إن هذا الأمر للتهديد والتوبيخ، والمعنى: إذا نزع منك الحياء، وكنت لا تستحي من الله ولا تراقبه، فاصنع ما تهواه نفسك من الرذائل: فغن الله تعالى يجازيك عليه، وقيل: إنه أمر ومعناه الخير»<sup>24</sup>. وعليه فإن الحياء تربية للنفس، وتهذيبها وتزكيتها عن كل ما يندسها،

وكبح لها عن هتك الأعراض والستر، فهو بمثابة رادع لها، يحد عنها تجاوز الحدود، فيراقب المسلم دائما نفسه عن زيغها، وعن كل ما من شأنه أن يؤذي أخاه المسلم، فقد قال بعضهم:

إذا لم تخش عاقبة الليالي      ولم تستح فافعل ما تشاء  
فلا والله ما في العيش خير      ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

فنعلم بذلك أن الحياء كله خير، وإذا ذهب تكدر العيش، وصار الفسق مباحا، والدعارة مباحة، وكل الشهوات مباحة، وأصبح الناس يتتبعون الأعراض ويكشفونها دون تأنيب، بل ويتناولون على حياة بعضهم البعض، لذلك فإن البعد النفسي الذي يحمله هذا الأسلوب في هذا السياق، هو التحذير من عدم الحياء، والويلات الخطيرة التي ينجم عن غيابه.

#### 3.4. الإحسان في كل شيء، ترجمة للإنسانية الإنسان:

جاء في الحديث السابع عشر ما نصه: «عن أبي يعلي شداد بن أوس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: غن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحذر أحلكم شفرته، وليرح ذبيحته»<sup>25</sup>

تشكل الحديث من مجموعة أفعال أمرية (أحسنوا، ثم الفعل المضارع المقرون بلام الامر، والذي يتلمس فيه الأمرية، لقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ان الإحسان لا يكون بين المسلمين، بل حتى مع الحيوانات، فيه بيان وضرورة الرحمة والرفق بالحيوان، ولان الإحسان طريق الجنة، وفاعله يثاب عليه كما جاء في قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>26</sup>

إلا أن صيغة الأمر جاءت في موضع عجيب، تهلل له النفس، وتجعلها أكثر إصغاء وتتبع لهذا الخطاب الحكيم، فالأمر جاء ليعاتب الإنسان في معاملاته مع الحيوان، وضرورة الرفق بها، حتى في آخر لحظات حياتها، فما بالك حين تكون جنبا إلى جنب مع الإنسان، فهي نفس ضعيفة، لا تتحمل القسوة، ولا العذاب، ولا حمل الأثقال، ولا البقاء دون كلال، ولا العطش، لذلك فالرحمة واجبة عليه، فهذا الحديث تذكير للمسلم أن

الحيوانات أمة لها حقوقها وهي تعيش معه، فكما أنها تجود عليه بمختلف النعم التي أودعها الله فيها، فإنه لا بد أن ينتبه، إلى سلوكياته، وأن لا يكون جبارا متسلطا. فمن أبعاد النفسية التي حملها الأمر، هو الرحمة والإحسان للحيوان، حتى تكتمل إنسانية الإنسان.

#### 4.4. الزهد

جاء في الحديث النبوي الأربعين ما نصه «عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل» وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول إذا أمسيت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»<sup>27</sup>.

ضم الحديث صيغتين إنشائيتين، أمر في الفعل "كن"، ونهي "لا تنتظر"، وقد جاء في غرض النصيح، وفق حكمة شاملة جامعة، فالدنيا دار غربة، وهي مجرد نزل، يعد العدة فيها للدار البقاء والخلود، فعلى الإنسان أخذ منها ما يهيمه، وما يجعله في تلك الدار الأبدية، «ثم هذا الحديث أصل عظيم في قصر الأمل في الدنيا، وأن لا ينبغي له أن يتخذها وطنا ومسكنا بل لا ينبغي له أن يكون فيها كأنه على جناح سفر، يري جهازه للرحيل»<sup>28</sup>. والسؤال الذي نطرحه لماذا الغربة، ماذا تحمل هذه المفردة من دلالات، فيكون من معانيها الضمنية هو الزهد، الزهد في الدنيا، وعدم إشباع النفس حاجاتها، التي لا تنتهي، «فالزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف»<sup>29</sup>.

فإذا عرف الإنسان أن الدنيا لا تساوي جناح بعوضة، عزف عنها، واستثمرها في إصلاح نفسه، ووكف نفسه عن السؤال، وعن الجري خلفها، فشعور الغربة، يوطن في نفسه، ان لا حاجة له بها، سوى أخذ حاجته، والانصراف عنها. لذلك فإن من الأبعاد النفسية الذي حملتها صيغ الإنشاء هو تربية النفس على الزهد في الدنيا، وان كل وقت الدنيا، لا بد للإنسان فيه أن يعمل على إصلاح نفسه.

#### 4.5. فضل الفقر في تطهير النفوس:

جاء في الحديث الخامس والعشرون ما نصه «عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَيْضاً أَنَّ أَنَساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،

وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»<sup>30</sup>.

اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوبا حواريا حكيما في هذه الأسطر، مستعملا أسلوب الاستفهام الذي خرج إلى غرض الإنكار، فبعد ان طرحت هذه الفئة أمرها، نهيهم الرسول إلى خطئهم، مراعيًا نفسياتهم وشعورهم، بان أشركهم في حوار، ليعيدوا النظر في أمرهم، ويدل ردهم في الحوار بالتعجب، نجاح العملية الخطابية للرسول وتمكن خطابه في نفوسهم.

فمن الأبعاد النفسية التي ضمها هذا الأسلوب الاستفهامي هو محاولة تأديب النفس وتنبيهها، أن الخير لا يجتمع مع المال فقط، وأن مختلف العبادات البسيطة، لها الأجر العظيم، والخير الوافر.

## 5. خاتمة

إن الحديث عن البعد النفسي في صيغ الأسلوب الإنشائي، هو بحث في الفلسفة اللغوية والبلاغة النبوية، التي اتصفت بها الأحاديث النبوية، ويمكن إجمال نتائج هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- الأمر فيه ترغيب للنفس، والنهي ترهيب لها، والاستفهام تنبيه لها، والنداء امتداد في الزمن، وفي مجملها هو توجيه لها وتربيتها وتزكيها، لأن النفس إن صلحت وغلبت المطمئنة على الأمانة بالسوء والقاسية، كان الخير والنفع والأمان والكمال وتمام الصلاح.
- لقد كان للرسول صلى الله عليه وسلم لغة مميزة، جمع فيه القول الفصل، فقد كانت لغته تأثيرا واضحا في ذهنية العربي، حيث خاطبهم بلغتهم، وأشركهم في أحاديثه، بالاعتماد على أساليب الأمر والنهي والاستفهام والنداء...

- خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم جميع شرائح المجتمع، ولم يستثنى حتى الطفل الصغير، فكان القصد قصدا جامعاً، وفعلها هادفاً إلى بناء مجتمع سليم نفسياً.

## 6. الهوامش والإحالات:

- <sup>1</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (07)، 1998م، ج 02، ص 17.
- <sup>2</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، ج 01، ص 76.
- <sup>3</sup> عبود حميدة: الصورة البيانية والبعد التربوي، دراسة في سورة البقرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط الأولى، 2016م، ص 125.
- <sup>4</sup> ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 02، مادة (ح د ث)، ص 131.
- <sup>5</sup> محم سعيد رمضان البوطي: في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، دار الفكر، دمشق، ط الأولى، 2011م، ص 11.
- <sup>6</sup> البوطي: في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، ص 53.
- <sup>7</sup> مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 09، 1973م، ص 279، 280.
- <sup>8</sup> مصطفى صادق الرافعي: السمو الروحي والجمال الفني في البلاغة النبوية، تحقيق: وائل بن حافظ خلف، دار النشر للثقافة والعلوم، (د ب)، (د ط)، (د س)، ص 43.
- <sup>9</sup> سفيان بوعنينة، هاجر بوعكاز، أبنية الأفعال ودلالاتها في أحاديث متن الأربعين النووية، علوم اللغة العربية وآدابها، الوادي، الجزائر، م 13، ع 01، 2001م، ص 1842.
- <sup>10</sup> محي الدين زكرياء يحيى بن شرف النووي: الأربعون النووية، عني به: قصي محمد نورس الحلاق، وانور بن أبي بكر الشيعي، دار المنهاج، بيروت، لبنان، (ط الأولى)، 2009م، ص 48.
- <sup>11</sup> السيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، دار الفكر، لبنان، (د ط)، (د س)، ص 48.
- <sup>12</sup> النووي: الأربعون النووية، الحديث السادس عشر، رواه البخاري، ص 59.
- <sup>13</sup> محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي: الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية، تح: عبد الله النمشاوي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، (د س)، 148.
- <sup>14</sup> الشافعي: الفتح المبين بشرح الأربعين، عني به: أحمد جاسم محمد المحمد وآخرون، دار المنهاج، لبنان، ط الأولى، 2008م، ص 348.
- <sup>15</sup> أبو عمر يوسف بن عبد الله الأندلسي: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، (د د ن)، (د ب)، (د ط)، 1967م، ج 06، ص 322.
- <sup>16</sup> النووي: الأربعون النووية، الحديث الخامس والثلاثون، رواه مسلم، ص 118.
- <sup>17</sup> مصطفى صادق الرافعي: السمو الروحي والجمال الفني في البلاغة النبوية، ص 29.
- <sup>18</sup> النووي: الأربعون النووية، الحديث التاسع عشر، رواه الترمذي، ص
- <sup>19</sup> بسيوني عبد الفتاح فيود: بلاغة تطبيقية، دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص، مصر، ط الأولى، 1991م، ص 132.
- <sup>20</sup> عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة، بيروت، لبنان، ط (01)، 2009م، ص 115.

<sup>21</sup>. سعاد زدام: دلالة الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم (النداء أنموذجا)، (دكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2018م، 2019م، ص 16.

<sup>23</sup>. النووي: الأربعون النووية، الحديث العشرون، رواه البخاري، ص 73.

<sup>24</sup>. الجواهر اللؤلؤية، ص 190.

<sup>25</sup>. النووي: الأربعون النووية، الحديث السابع عشر، رواه مسلم، ص 62.

<sup>26</sup>-سورة يونس، الآية 26.

<sup>27</sup>- النووي: الأربعون النووية، الحديث الأربعون، رواه البخاري، ص 133.

<sup>28</sup>- الفتح المبين، ص 613.

<sup>29</sup> القشيري: الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، مؤسسة دار الشعب، (د ط)، 1979م، ص

22.

<sup>30</sup>- النووي: الأربعون النووية، الحديث الخامس والعشرون، رواه مسلم، ص 90.